Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات

Volume 23 | Issue 2 Article 54

2022

Renewal in Modern Islamic Political Thought of Imam Mohammad Abdo

Zaid Al-Qaidati
Nayef.zaid@yahoo.com

Fawzi Tim
FawziTim@yahoo.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu

Part of the Arts and Humanities Commons, and the Social and Behavioral Sciences Commons

Recommended Citation

Al-Qaidati, Zaid and Tim, Fawzi (2022) "Renewal in Modern Islamic Political Thought of Imam Mohammad Abdo," *Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات*: Vol. 23: Iss. 2, Article 54.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/54

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

مجلة جرش للبحوث والدراسات المجلد 23 العدد 2أ، 2022، ص ص 3593- 3622

التجديد في الفكر السياسي الإسلامي الحديث عند الإمام محمد عبده

زيد نايف علي القعايدة* وفوزي أحمد تيم**

ملخص

هدفت الدراسة إلى معرفة مضامين وأبعاد فلسفة التجديد في فكر محمد عبده والطروحات الفلسفية الجديدة التي قدمها في مجال الفكر السياسي الاسلامي، وتناقش الدراسة الإشكاليات الفلسفية التي طرحها المفكر الإسلامي محمد عبده والتي أثارت جدلاً ونقاشاً واسعاً لدى الباحثين والمفكرين والتي يمكن اعتبارها طرحاً فكرياً يسهم في تحرير الفكر الإسلامي وتجديده وفق رؤية فلسفية واضحة، والتعرف على موقفه من قيم نظام الحكم وقضايا السلطة في الإسلام، واعتمدت الدراسة على استخدام المنهج التاريخي - التحليل السياسي للأحداث، والمنهج الاستقرائي لدراسة الظواهر السياسية من وجهه نظر المفكر، وخلصت الدراسة إلى أنه يرجع الفضل للإمام محمد عبده في التأكيد على ربط الدين بالمعاصرة على أساس أن هذه تعد من مقومات الدين الإسلامي باعتباره ديناً عقلانياً بالدرجة الأولى، والإمام محمد عبده قدم برنامجاً شاملاً متكاملاً للتجديد في كافة النواحي، ومن مساهماته بالسياسية، ما قدمه من أفكار سياسية في تأكيده على نظام وقيم الحكم في الاسلام، مثل: الشورى، والقانون، ومسؤولية الحاكم، والطاعة، والحرية، والديمقراطية، والعدالة والمساواه، والاستقلال والوحدة، والاعتدال والوسطية.

الكلمات المفتاحية: التجديد، الفكر السياسي، الفكر السياسي الإسلامي، الفكر السياسي الإسلامي الحديث، الإمام محمد عبده.

© جميع الحقوق محفوظة لجامعة جرش 2022.

* طالب دكتوراه، قسم العلوم السياسية، كلية العلوم الاجتماعية جامعة مؤتة، الكرك، الأردن. Email: Nayef.zaid@yahoo.com

** أستاذ دكتور، قسم العلوم السياسية، كلية العلوم الاجتماعية جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

Published by Arab Journals Platform, 2022

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 54

Renewal in Modern Islamic Political Thought of Imam Mohammad Abdo

Zaid N. Al-Qaidati and **Fawzi A. Tim**, *Department of Political Science, College of Social Sciences, Mutah University, Karak, Jordan.*

Abstract

The objectives of this study are centered on the implications and the dimensions of the innovation philosophy found within the Imam Mohammad Abdo's intellect and the new philosophical expositions he Presented In Modern Islamic Political Thought. The study also discusses the philosophical issues that had been presented by the Islamic thinker Mohammad Abdo, which aroused a broad controversy and discussion among the researchers and thinkers. In addition to this, it can be considered an intellectual proposition that contributes to the liberation of the Islamic thought and innovating it according to a clear philosophical vision & And knowing his position on the values of the system of government and issues of power in Islam, The study adopted the inductive approach & Historical approach. The study concluded that thanks to the Imam Mohammad Abdo the correlation between religion and modernity has been stressed on the basis that it is considered one of the Islamic religion fundamentals seeing as it is primarily a rational religion & Imam Mohammad Abdo presented a comprehensive and a complete program for innovation in all respects. One of the political contributions of Sheikh Mohammad Abdo are his political opinions: his emphasis on the essence of the system and values of governance in Islam, such as: Shura, law, responsibility of the ruler, obedience, freedom, democracy, justice and equality, independence and unity, moderation and moderation.

Keywords: Renewal, Political thought, Islamic political thought, Modern islamic political thought, Imam Muhammad Abdo.

المقدمة:

يعد مفهوم التجديد أحد المفاهيم المحورية في دراسات الفكر السياسي، فقد شغل اهتمام العديد من المفكرين العرب والمسلمين في عصور مختلفة، وخاصة في العصور التي رافقها الغزو الغربي الذي تعرضت له الأمة العربية والإسلامية منذ أواخر القرن الثامن عشر، حيث توسع تطلعها بعد الاستعمار إلى نمط الثقافة الحضارية الغربية، وكثر الجدل الفكري والسياسي حول علاقة الدين بالسياسة في الفكر الإسلامي والذي كان نتيجة للإحتكاك بالحضارة الغربية، وقد نتج عن هذا الاحتكاك أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ظهور العديد من التيارات الفكرية، وهي (الجابري، 1986: 590):

1- التيار الأصولي السلفي التقليدي، وينادي بضرورة السعي للعودة إلى الأصول - الموروث الديني الأصلي-، وليس الاتيان بجديد، والنظر للعلوم العصرية والتي منها العلوم

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/54 2

السياسية من منظور إسلامي فقط رافض لكل ما جاء به الغرب معتبراً ذلك استعماراً فكرياً وسياسياً.

2- التيار الرافض للحضارة الإسلامية والدين، وينادي بضرورة السعي للتمسك بكل ما جاءت به الحضارة الغربية باعتبار أن الدين أساساً وسبباً للتخلف الحاصل بالدول الإسلامية.

3- التيار السلفي التنويري (التجديدي/ الإصلاحي) ويدعو إلى تطوير الفكر والخطاب بما يتفق ومعطيات العصر، وضرورة التمسك بقيم الإسلام من أجل النهوض بالأمة الإسلامية والإندماج في الحضارة الغربية مع الاحتفاظ بالهوية الدينية، والسعي للتجديد والاصلاح السياسي والاجتماعي والديني والثقافي عن طريق الأخذ من الغرب انطلاقاً من الأصول.

من هنا فإن القضية الكبرى التي مازالت مطروحة على الفكر الإسلامي تتعلق بتجديد الفكر السياسي، وهي قضية تدعو للرجوع إلى القيم الإسلامية المرجعية، وتأسيس الدولة المدنية والسلطة والقيم التي تمارس باسمها الحكم في إطار شرعي، فالجهل والفراغ الفكري وغياب الوعي بشؤون الإسلام السياسي وقيم نظام الحكم في الاسلام أدى لظهور أخطاء منهجية ومغالطات تاريخية حول فصل الدين عن السياسة (مجاهد، 2016: 163).

مما لاشك فيه أن الإسلام يعني منهج حياة متكامل يشتمل على الدين والدنيا والروح والزمن والسياسة والشرع، وبذلك استطاع العديد من المفكرين العرب والمسلمين بلورة مشروع فكري إصلاحي تجديدي متكامل، بالإستناد إلى قواعد النظام الحكم الإسلامي؛ حيث يقوم مفهوم التجديد السياسي في ارتباطه بالخبرة الإسلامية على الاجتهاد واستخدام العقل في المسائل الفقهية، ويؤكد على تحقيق الوفاء من قبل العقل الإسلامي لنموذجه الموروث ليكون منسجماً مع مستلزمات الحضارة العربية والإسلامية (عياش، 2017).

وعليه فقد اتضح أن استلهام التطور الحضاري الغربي وعلومه والانطلاق منه على اساس منظور إسلامي، لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال التجديد وتخليص الدين مما قد علق به من شوائب نتيجة البدع أو التخلف في الفكر الذي لم يتماشى مع ما في الأسس العامة لنظام الحكم في الإسلام من مرونة والقدرة على مواجهه المواقف المستحدثة في كل ما يتعلق بالمجال السياسي، وبما يمكن إصلاح حال الأمة وإحداث التغيير الإيجابي لعناصر الرابطة السياسية: فكراً ونظماً وحركة (البشري، 2016: 265).

ومن هنا تم تناول التيار السلفي التجديدي بشيء من التفصيل ولعل من أبرز أعلامه هو الأمام محمد عبده (1849- 1905)، ففي عصره - القرن التاسع عشر الميلادي- بلغت البلاد الإسلامية مبلغًا عظيمًا من الوهن والتفرق، ويرجع ذلك إلى التفكك العقائدي والصراع المذهبي والقبلي من جهة، وانصراف رجال الدولة إلى المتع واللهو فبعدوا وانصرفوا عن الإسلام من جهة أخرى، وتزامن هذا الخذلان والضعف مع الغزو الاستعماري الذي استهدف بلاد المسلمين كافة (الاعرجي، 2011: 399).

أطل القرن التاسع على الدول الإسلامية بأحداث كان لها الأثر الكبير على جميع نواحي الحياة ومن ابرزها الجانب الديني والسياسي، ويبرز هذا عند احتلال الفرنسيون مصر عام 1798م حتى عام 1801م، وانفراد محمد علي باشا بالحكم بموجب معاهدة (لندن) المعقودة بين الدول العثمانية والدول الغربية الكبرى في عام 1841م، وكذلك عندما احتلت بريطانيا عدن في عام

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 54

1839م وذلك لتأمين طرق المواصلات لها إلى الهند والشرق الأقصى. هذه الأحداث السياسية المضطربة وغيرها الكثير كان لها الأثر الكبير على حياة الإمام محمد عبده. فلم يكن سلبيًا تجاهها، بل كان إيجابيًا ومتفاعلًا معها، متأثرًا بها ومؤثرًا فيها. فكشفت عن معدنه الأصيل وأبرزت معالم شخصيته الفذة من التمسك بالعقيدة ونصرة الإسلام. يتجلى ذلك في موافقه العظيمة وخاصة أثره على الأحوال السياسية وإنكاره للاستبداد حتى أدى ذلك إلى نفيه من مصر وتكوينه للجميعات السرية والخيرية التي من خلالها قاد نشاطه التجديدي والإصلاحي في الفكر الإسلامي (قلاب، 2000: 7).

عاش الإمام محمد عبده في زمن الإحتلال لمصر عام 1882م، وانشغل بالدفاع عن الإسلام في مواجهة ادعاءات بعض الفلاسفة والمفكرين الفرنسيين، وحدد أهداف حركته في العمل الدائم من أجل الإصلاح الديني عن طريق تحرير الفكر الإسلامي الديني وتطهيره من البدع وتجديد افكاره من الجانبين الديني والسياسي، ودعى لإعلاء قيمة العقل المسلم المفكر. كما أعطى محمد عبده اهتمامًا خاصًا بالدعوة والاجتهاد وتجديد الفكر الإسلامي، وفقهه للاستجابة لمطالب النهوض والصحوة، ليمتلك المجتمع الإسلامي وسائل البحث والمعرفة التي تسهم في تطوير المجتمع الإسلامي، ولتعزيز دعوته إلى الاجتهاد والتجديد (الوين،2014: 14-18).

في ضوء ما سبق عمل الأمام على خلق نظام متطور للقانون الإسلامي مستفيدًا في ذلك من توليه منصب القضاء في المحاكم الشرعية، والافتاء لعموم الديار المصرية الذي يسمح للقاضي بالاجتهاد في حالة غياب النص واختيار الحكم الملائم للحالة المعروضة من بين المذاهب الإسلامية الأربعة؛ لذا فقد كان للإمام محمد عبده فلسفته الإجتماعية، ومنهجه في إصلاح المجتمع ولذلك كانت القضية الأساسية في فكره هي تجديد الفكر الإسلامي باعتباره المصدر الرئيسي للنظام الفكري الذى ساد مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية في مصر (القصاص، 2019: 254)، بمعنى إحداث نمط جديد من التفكير يستند إلى العقل في فهم الأصول الدينية للإسلام، على عكس ما ساد من جمود وتقليد نتيجة لغلق باب الاجتهاد والحجر على الحرية الفكرية، لهذا فقد أهتم محمد عبده بظاهرة السلطة وطبيعتها والحكم في الإسلام، فمبادىء الإسلام تفرض التزام بتطبيقها من جانب من يملك حق الحكم والسيطرة والنفوذ، ولكنها لا تكون أبداً ذريعة لقيام حكم ثيوقراطي، وعلى الحكومة أن تسعى إلى تطبيق هذه المبادئ من خلال الظروف السائدة والواقع القائم في المجتمع، أي أن تصطبغ أعمالها بالطابع المدني، بمعنى آخر أن الحكومة فى الإسلام ليس لها طابع ديني وإنما لها وظيفية دينية تتحدد في الحفاظ على القيم والمبادئ العامة للإسلام، وتنوير العقول من جهالتها، وعندئذ يجئ الهدف السياسى من تلقاء نفسه (أحمد، 1978: 265).

لقد زاوج الإمام محمد عبده بين جانبين، هما: الجانب التجديدي والثاني باب اجتهاد، مما أثار جدلاً واسع النطاق بين المفكرين الإسلاميين والمستشرقين على حد سواء، كما وقد جاءت فلسفة الإمام محمد عبده الأسلامية في التجديد السياسي في وقتها، فما أشد حاجة الأمة الإسلامي إلى أفكاره المستنيرة تواجههم لما يريدون العودة به إلى عصور الظلام؛ وإلى منهجه العقلاني للإستعانه به على أعداء العقل ومروجي الخرافات، والاستزادة بأعماله لكل من يريد أن يستعيد روح النهضة (الريدي، 2012: 249).

مشكلة الدراسة:

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/54 4

تحاول هذه الدراسة البحث في موضوع اشكالية التجديد في الفكر السياسي الإسلامي الحديث من وجهة نظر الأمام محمد عبده وذلك للوقوف على رؤى التيار السلفي التجديدي في الفكر السياسي الإسلامي من جهة، وجمود الفكر السياسي الإسلامي الحديث وغياب الأصالة في أدبياته وعدم قدرته على مواكبة العصر من جهة أخرى، حيث أن المدرسة الفكرية السياسية ما تزال كما هي منذ عقود تعيد خطابها دون حدوث تجديد أو تأصيل وما يزال الفكر يتنازعه الخطابان: التقليدي الذي عجز عن فهم الواقع وضرورة مواكبة تطوره والاجتهاد فيه وله، والحداثي الذي انفصل تحت ضغط الواقع عن جذوره وأصوله، لذلك عمد عدد من المفكرين العرب والمسلمين إلى طرح أفكار سياسية تجديدية بما يتفق ومعطيات العصرمن جهه ودون غياب الأصالة من جهة أخرى، وقد اثارت أراء محمد عبده التجديدية حفيظة التقليديين والمحافظين الذين لم يكتفوا بتنفيذ أفكاره بل تعدوا ذلك بالتشهير به، لكن افكاره التجديدية والاصلاحية لاقت قبولاً من المفكرين المسلمين المستنيرين، لذلك ستناقش الدراسة الإشكاليات الفلسفية التي طرحها المفكر الاسلامي محمد عبده في التجديد وفق رؤوية فلسفية واضحة بالجانب السياسي.

أسئلة الدراسة: في ضوء ما تقدم تتحدد مشكلة الدراسة من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

1- ما أمكانية الإفادة من الاتجاهات الفكرية والتجديدية التي يطرحها كل من الإمام محمد عبده في الجانب السياسي؟

2- ما موقف الإمام محمد عبده من نظام وقيم الحكم في الاسلام، مثل: الشورى، والقانون، ومسؤولية الحاكم، والطاعة، والحرية، والديمقراطية، والعدالة والمساواه، والاستقلال والوحدة، والاعتدال والوسطية؟.

3- ما هي فلسفة التجديد الإسلامي في فكر الأمام محمد عبده؟

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى:

1- تقديم لمحة عن حياة الأمام محمد عبده ونشأته فلسفته الإسلامية.

2- التعرف على الاتجاهات الفكرية والتجديدية التي يطرحها الإمام محمد عبده في الجانب السياسي.

3- التعرف على الفكر السياسي عند الإمام محمد عبده.

4- التعرف موقف الإمام محمد عبده من قيم نظام الحكم في الإسلام.

5- التعرف على فلسفة التجديد الإسلامي في فكر الأمام محمد عبده.

6- التعرف على أهم اسهامات المفكر الإمام محمد عبده في التجديد.

7- وضع حقل التجديد في مجال الاهتمام الفكري السياسي الإسلامي، عبر إبعاده عن كل أشكال التقليد أو الرؤية الأحادية المنغلقة على الذات.

أهمية الدراسة: تبرز أهمية الدراسة من الناحيتين العلمية والعملية على النحو الآتي:-

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 54

1- الأهمية العلمية: تكتسب هذه الدراسة أهميتها العلمية في كونها تتطرق لموضوع ما زال خصباً في مجال البحث، حيث تحاول هذه الدراسة إبراز الصورة الحقيقية لمفهوم التجديد بوصفة مرتكزاً مهماً لاعادة بناء الفكر السياسي الإسلامي وتعزيز مثالية الحكم في الإسلام، وأبراز شخصيات جديدة في الفكر السياسي الإسلامي لم تتطرق إليها من قبل في الدراسة بصفة مستقلة وموسعه من جهه، ومن جهه أخرى محاولتها تقديم نماذج فكرية ورؤية تحليلة لآراء بعض رواد الفكر السياسي الإسلامي الحديث أمثال: المفكر الأمام محمد عبده نحو التجديد وأهميته في التعامل مع القضايا السياسية ونظام الحكم في الإسلام.

2- الأهمية العملية: توفر الدراسة عملياً مشروعاً فكرياً يمكن أن يتم تطبيقه من قبل نظام الحكم لتحرير العقل الاسلامي العربي من الجمود الفكري الذي أصابه لعدة قرون، وإيقاظ وعي الأمة الإسلامية نحو التحرر، وبعث الوطنية والثورة على الاستبداد والسخط على الحكام المستبدين، والدعوة نحو إحياء الاجتهاد الديني لمواكبة التطورات السريعة خاصة وأن فشل التجارب الاشتراكية والقومية في المنطقة العربية ساهم في اتخاذ الاسلام الحل ليقظة العقل المسلم لمواجهة التحديات الفكرية السياسية، والبديل ليقاوم دعاة التقليد والجمود الفكري من ناحية ودعاة التغريب الغربي من ناحية أخرى.

منهجية الدراسة:

تعتمد الدراسة على استخدام المنهج التاريخي لدراسة الجذور التاريخية لمفهوم التجديد في الفكر السىاسي الإسلامي الحديث من وجهة نظر الأمام محمد عبده، وكذلك المنهج الأستقرائي لاستقراء الواقع السياسي والظواهر السياسية ودراسته على ضوء الحقائق القائمة فيه للحصول على نتائج علمية تشكل تعميمات فكرية سياسية يستفاد منها في تقويم الأداء وتصحيح الخطأ وتقديم مبادىء وآراء مستخلصه من الواقع من الخاص إلى العام أي من الحقائق الفردية إلى الفروض العامة وبيان أراء المفكر حول -موضوع الدراسة-، وبيان أدلته الفكرية لتحليل ما ورد من أفكار ورؤى في التجديد من جهه، ومناقشته وبناء الاستنتاجات عليها من جهه أخرى، واستقراء ملامح الفلسفة الإسلامية في فكر مفكري التيار السلفي التجديدي أمثال الأمام محمد عبده.

مصطلحات الدراسة: فيما يلي تعريفاً بأهم مصطلحات الدراسة:

1- التجديد: لغةً هو التجديد من الجدة وهو مصدر الجديد، من جدد الشيء إذا صار جديداً، وارجع إلى حالته الأولى (ابن منظور، 1994: 111). واصطلاحاً هو عملية تفاعلية حيوية تستهدف النبية الفكرية لاعادة اكتشافها وتطويرها وفقاً للفهم الزمني الذي يعي حاجات الانسان بجميع متطلبات العصر بقواعده ومنهجه ومرجعيته وثوابته (المؤمن، 2016:15). ويعرف التجديد إجرائياً بأنه: تخليص الدين - أي الإسلام- من البدع والمحدثات التي أضيفت له واسقاطه على واقع الحياة ومستجداتها، اذاً لا يقع التجديد على الدين ذاته، وإنما يقع على علاقة الأمة بالدين ومدى الانضباط به والتفاعل معه.

2- الفكر السياسي: عرفه البشري بأنه "كل ما يتعلق بتكوين المجتمعات الانسانية وإدارة شؤونها الجماعية من حيث تشكل الجماعات في الواقع الحاصل أو في الدعودة إلى التكوين، ومن حيث إدارة شؤون الجماعات بما ينفذ فعلاً ويجرى إعماله أو بالدعوة إلى التقرير والتنفيذ"(2016: 1). ويعرف الفكر السياسي إجرائياً بأنه: الأفكار والآراء التي يصيغها

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/54 6

العقل البشري لإدراك الفرد لطبيعة النظام السياسي في المجتمع بجميع أبعاده وتفسير الظاهرة السياسية وعلاقتها بالعالم والمجتمع من حيث وجودها وعدمها وخصائصها وقوتها ووظائفها والقائمين عليها.

3- الفكر السياسي الإسلامي: عرفه جبرون بأنه مفهوم ظهرت بدايته الفعلية منذ وفاة الرسول صل الله عليه وسلم سنة 11هـ، وهو حصيلة التفكير الواعي والعقلاني للمسلمين في مسألتي السياسة (الشرعية)، والمؤسسة السياسية (الدولة) (2015: 10). ويعرف الفكر السياسي الإسلامي إجرائياً بأنه: النتاج الفكري المعرفي والآراء والاجتهادات والرؤى للمفكرين الإسلاميين من التيارين السلفي الحداثي والذي يركز على طبيعة الدولة والسلطة والأمة من منظور الأصول والقواعد الإسلامية.

4- الفكر السياسي الإسلامي الحديث: الحديث لغةً من الحداثة، وهو الجديد من الأشياء، وهو عكس القديم تماماً، وهو فتية السن يقال شاب حدث وشابة حدثة أي فتية السن (الفراهيدي، د.ت: 177). كما يطلَق على الكلام، قليله وكثيره؛ لأنه يحدث ويتجدَّد شيئًا فشيئًا، وجمعه أحاديث (ابن منظور، 1994: 41). كما ويعرف الفكر السياسي الإسلامي الحديث اصطلاحاً بإنه "قيد لتحديد الفترة الزمانية للفكر السياسي الإسلامي الذي يؤرخ من النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي إلى نهاية الدولة العثمانية في النصف الأول من القرن العشرين" (كهوس، 2015).

5- التجديد في الفكر الإسلامي: عرفته مجاهد بأنه "العودة للأصل وتخليص الدين مما قد يكون قد علق به من شوائب نتيجة البدع أو الجهل أو غيرها ولا يقصد به تغيير احكام الدين فهي ثابته لا تتغير ولا تتجدد، إذاً التجديد يكون في المسلمين وليس في الاسلام" (2016: 529). ويعرف التجديد في الفكر السياسي الإسلامي أجرائياً بأنه: تجديد أولي في بنية العقل الإسلامي وليس في الإسلام، يهدف إلى إحداث تحولات في نظم وآليات التفكير والمقاربات المنهجية وإعادة النظر في بنية الموروثات الفقهية تطوير وتجديد العلوم الإسلامية وإعادة النظر في دراسة هذه العلوم من عده منظور سياسي.

الدراسات السابقة:

1- دراسة برغش (**2018**)، بعنوان: "مشروعات التجديد في الفكر السياسي الإسلامي الحديث والمعاصر: دراسة مقارنة"، هدفت الدراسة إلى عرض وتقويم الأفكار التي نادى بها المفكرون والتيارات في مجال تجديد الفكر السياسي الإسلامي الحديث والمعاصر. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن لعرض وتحليل وتفسير ومقارنة ما تضمنته اسهامات مفكري التيار الأصولي السلفي والاصلاحي. وخلصت الدراسة إلى أن قضية تجديد الفكر السياسي الإسلامي أصبحت إحدى أهم القضايا البارزة على مستوى المجتمعات، وأن التجديد كان يعني لمفكري التيار الأصولي السلفي العودة إلى الأصول وليس الاتيان بجديد، أما بالنسبة للتيار الإصلاحي فإن التجديد كان يعني تطوير الفكر والخطاب بما يتفق ومعطيات العصر.

2- دراسة بن جلول (**2017**)، بعنوان: "الفكر الاصلاحي عند محمد عبده" هدفت الدراسة إلى التعريف بأحد أبرز زعماء الإصلاح العرب في العصر الحديث، ومبادرته لنهوض بفكر سياسي اسلامي جديد في ظل تصاعد الغزو الثقافي الغربي، اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي.

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 54

وخلصت الدراسة إلى أن محمد عبده يعد من المجددون للفكر الإسلامي الذي كان له دور كبير في تطوير الخطاب السياسي لفكر الوسطية، وأن تجديد الفكر السياسي الإسلامي وتحديثه يعد مرجعية أخلاقية لبناء الدولة المدنية الحديثة في المجال العربي- الإسلامي، كما وأعتبر القيم المدنية (الروح العملية والإنسانية الصناعية والتقنية والديمقراطية والعدل والانتخاب وسيادة القانون، والحرية، والبيعة والشورى) من فرائض الدين، وليست واجبة بالتبعية.

3- دراسة البشري (**2016**)، بعنوان: "نحو تجديد مجالات في الفكر السياسي الإسلامي"، هدفت الدراسة إلى توضيح دور التجديد السياسي الإسلامي في إحياء المدركات الجماعية للأمة، وإبراز القواعد والأسس التي استند إليها في منهج الفكر السياسي الإسلامي. وخلصت الدراسة إلى أن التجديد السياسي من وجهة نظر المفكرين والباحثين العرب والمسلمين منهج يستند إلى قواعد النظام المعرفي الإسلامي، وهو عملية للتحرك الفكري، وهو قاعدة للإصلاح والصلاح تجاوز التحديات الراهنة من خلال انتقاده للاجتهادات المطروحة ذات المستويات المتعددة(الفكري- النظامي- والحركي)، واظهرت الدراسة أن التجديد هو تحقيق للوفاء من قبل العقل الإسلامي لنموذجه الموروث في العيش والحياة، حيث يكون فيه منسجماً مع مستلزمات الإنتماء الحضاري للأمة العربية والإسلامية، بما هو انتماء مؤسس على منظومة مرجعية وقيمية لها رؤيتها المتفردة للإنسان والعالم.

4- دراسة التويجري (**2015**)، بعنوان: "نحو تجديد الفكر الإسلامي"، هدفت الدراسة إلى توضيح مفهوم تجديد الفكر الإسلامي باعتباره مظهر من مظاهر الحيوية الفكرية والثقافية. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج المقارن لعرض وتحليل وتفسير ما تضمنته أفكار ابن خلدون محمد بن عبدالوهاب ومحمد الشوكاني ومحمد عبده وحسين الجسر ومحمد اقبال في تجديد الفكر الإسلامي. وخلصت الدراسة إلى نتيجة جامعة أكدت على أن تجديد الفكر الإسلامي انما هو تجديد للفكر بصورة عامة وتجديد للموقف وتجديد للممارسة وللحياة وتحديث لها والإرتقاء بها، كما خلصت الدراسة إلى أن ليس كل تجديد للفكر الإسلامي يكون ايجابي، فلقد ظهرت اتجاهات تجديدية في الفكر الإسلامي تتعارض سلبياً مع أصول الاسلام وقواعده وأحكامه ومقاصد شريعته، وإن بعض المفكرين الذين يزعمون أنهم يحملون راية التجديد للفكر الإسلامي يسيئون إلى الإسلام أكثر مما يحسنون إليه، كما ظهرت اتجاهات تجديدية أخرى في الفكر الإسلامي ينحو أصحابها نحو الغلو والتشدد وعدم مراعاة المتغيرات في واقع المسلمين وكأنهم لم يجددوا، ولكن التيار الفكري التجديدي الغالب هو الذي يعتمد منهج الوسطية والاعتدال في الاعتقاد، والفهم والسلوك والشورى لمختلف مناحيه.

5- دراسة مصباح (**2015**)، بعنوان: "الشيخ الأمام محمد عبده وأثره في الفكر الاسلامي المعاصر" هدفت الدراسة التعريف بالامام محمد عبده بكونه أحد أبرز المجددين في الفكر الاسلامي في العصر الحديث والمعاصر واحد دعاة الاصلاح والنهضة السياسية، اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي والتحليلي الاستقرائي والمقارن. وخلصت الدراسة إلى أن الامام يعمد إلى منهجية التجديد في الفكر السياسي الإسلامي الذي ينطلق من الدين والعمل بالديمقراطية الدينية آلية للحكم، ومن الدولة المدنية اطاراً منظماً لهذا الاجتماع، كما وخلصت الدراسة إلى اظهار رؤية الامام محمد عبده بالاجتهاد في رسم أطروحاته الفكرية كأسلوب لمواصلة التجديد، وأنه يؤمن بمرونة الإسلام وحيويته وقدرته على التجديد في جميع جوانب الحياة.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/54

تعقيب على الدراسات السابقة: تتميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة التي تم عرضها بكونها تبحث في موضوع فلسفة التجديد في الفكر السياسي الاسلامي وفق المنظورات الفلسفية للامام محمد عبده، وبيان موقفه من نظام وقيم الحكم في الاسلام، مثل:الشورى، والقانون، ومسؤولية الحاكم، والطاعة، والحرية، والديمقراطية، والعدالة والمساواه، والاستقلال والوحدة، والاعتدال والوسطية، وبيان فلسفة التجديد الإسلامي في فكره، والاتجاهات الفكرية والتجديدية التي طرحها.

أولاً: حياة الإمام محمد عبده ونشأته:

ولد الإمام محمد عبده حسن خير الله، في حصة شبشير من قرى محافظة الغربية في أخر سنة 1265هـ - 1849م، ولكنه نشأ حيث نشأ والده بقرية تسمى "محلة نصر" من قرى "شبراخيت" محافظة البحيرة (عبدالرحمن، 2002: 8)، في أسرة اعتزت بكثرة رجالها، ومقاومتهم لظلم الحكام، وتحملهم في سبيل ذلك العديد من التضحيات؛ سجنًا وهجرة وتشريدًا وضياع ثروة، وقد علمته هذه النشأة الاعتزام بالأصالة والمجد، وعدم الربط بين هذه الأصالة وبين الغنى والثروة، والشجاعة باحترامه على أهل الثراء، خصوصًا المسرفين منهم، والعاطلين عن الكفاءة (بدوي، 2005: 17).

وتلقى الإمام محمد عبده تعليمه الأولى للقراءة والكتابة، وحفظ القرآن وبدأ ذلك وهو في السابعة من عمره، ثم ذهب إلى "الجامع الأحمدي" بطنطا، ليحصر هناك دروس تجويد القرآن الكريم في سنة (1862م/ 1279هـ) (الوين، 2014: 21).

وكان محمد عبده في نحو الخامسة عشر من عمره، وقد استمر يتردد على "الجامع الأحمدي" قريبًا من العام ونصف العام، إلا أنه لم يستطع أن يتجاوب مع المقررات الدراسية أو نظم الدراسة العقيمة التي كانت تعتمد على المتون والشروح التي تخلو من التقنين البسيط للعلوم، وتفتقد الوضوح في العرض، فقرر أن يترك الدراسة ويتجه إلى الزراعة؛ لكن أباه أصر على تلعليمه، فلما وجد من أبيه العزم على ما أراد وعدم التحول عما رسمه له، هرب إلى بلدة قريبة فيها بعض أخوال أبيه (الزيدي، 2018: 136).

وتحول الإمام محمد عبده بعد ذلك من الجامع الأحمدي إلى الجامع الأزهر في عام (1866م)، حيث مكث عدة سنوات، ولكنه آنذاك ضاق أيضًا بأسلوب التدريس في الأزهر، وفي تلك الظروف وفد على مصر السيد جمال الدين الأفغاني عام (1871م)، وعندما سمع الإمام محمد عبده عن خبر قدوم عالم أفغاني عظيم سر لذلك، وأخبر الشيخ حسن الطويل أستاذه في الأزهر الذي تلقى عنه شيئًا من علم المنطقة والفلسفة، ودعاه إلى زيارته معه، وفي أول لقاء مع الأفغاني طفق الأخير يسألهما عن بعض آيات القرآن وما قاله المفسرون والصوفية فيها، ثم أخذ يفسرهها فكان هذا مما ملأ قلب الإمام به عجبًا وشغفه به حبًا، لأن التصوف والتفسير يعتبرهما الإمام قرة عينه، كما تلقى الإمام عن الأفغاني بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية(رضا، 2012: 244- 245).

ولم يبق الشيخ محمد عبده تلميذًا للأفغاني طيلة حياته، كما لم تكن سنوات التعاون لمنهما أخصب سني حياته، وقد كتب له أن يكون مفكرًا نظاميًا أكثر من معلمه، وأن يحدث في الفكر العربي الإسلامي تأثيرًا من تأثير وأبعد مدى، لقد أوضح الإمام محمد عبده آراء أستاذه ونظمها وسجلها وطورها في بعض المواضع، حتى أن الأفغاني حين ترك مصر، قال يوم وداعه

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 54

لبعض مودعيه "قد تركت لكم الشيخ محمد عبده وكفى به لمصر عالمًا" (الأعرجي، 2011: 401- 402).

كان الإمام محمد عبده يعمل مدرسًا للتاريخ في مدرسة دار العلوم، ومدرسًا للعلوم العربية في مدرسة الألسان الخديوية، وفي عام 1878م عينه رياض باشا محررًا في الجريدة الرسمية، حكم عليه بالنفي من القطر المصري وملحقاته مدة ثلاث سنين، وكان ذلك في 24 ديسمبر عام 1882م، وتزوج من لبنان من كرية الحاج سعد حمادة، وهو في المنفى، ثم عاد إلى مصر سنة 1888م، عين قاضيًا في محكمة الاستئناف، وفي عام 1894م عين عضوًا بمجلس إدارة الأزهر، وفي الثالث من يونيو عام 1899م عين مفتيًا للديار المصرية (هلالي، 2011: 24- 25).

وفي سنة 1900م أسس جمعية إحياء العلوم العربية، فحققت ونشرت عددًا من آثار التراث العربي الإسلامي الفكرية الهامة، وشارك الإمام في عمل هذه الجمعية باستحضار المخطوطات، واستكمال نسخها، ومراسلة الملوك والسلاطين والقضاة لهذا الغرض، ومقابلة النسخ المخطوطة والشرح والتعليق على هذه الآثار الفكرية الهامة (عمارة، 1993: 34).

تولى الإمام محمد عبده الرد على فرح أنطوان عام 1902م صاحب مجلة "الجامعة العثمانية" بخصوص ما كتبه في تسامح المسيحية مع العلم والعلماء، وما أظهر الإسلام كان عكس ذلك من تقييد لحرية العلماء والمفكرين، نظرًا لما تمليه عقيدته من الاستسلام والتواكل والإيمان بالقضاء، فكانت رسالته "الاضطهاد في الإسلام والنصرانية" ردًا على هذه الأفكار الخاطئة (الأعرجي، 2011: 403).

ومن أبرز أعمال الفكرية في هذه المرحلة هي مقالاته، وأغلبها نشر في "الوقائع المصرية"، منها على سبيل الحصر مثل: "عيد مصر مطلع سعاتها"، و"حاجة الإنسان إلى الزواج"، و"حكم الشريعة في تعدد الزوجات"، و"حكومتنا والجمعيات الخيرية"، و"حب الفقر أو سفه الفلاح"، و"إبطال البدع من نظارة الأوقاف العمومية"، و"وخامة الرشوة"، و"احترام قوانين الحكومة من سعادة الأمة"، و"القوة والقانون"، و"الوطنية"، و"اختلاف القوانين باختلاف أحوال الأمم"، و"الحياة السياسية" وكتابته من السجن، شعرًا ونثرًا بعد هزيمة الثورة...إلخ (عمارة، 2005: 20-21).

والحقيقة أن الإمام محمد عبده قد وهب نفسه وحياته للإصلاح والنهوض بالأمة الإسلامية في جميع ميادين الحياة، إيمانًا منه أن التغيير، والتخلص من المستعمر، والصد للغزو الفكري لا يتحقق إلا عن طريق توعية الجماهير والمشاركة في الحكم، لذلك كان لا يرى منصبًا أو موقعًا يحقق له هذه الثورة الإصلاحية التجديدية إلا سارع ووافق على توليه، ويبدو هذا عند بدايته بالعمل في التدريس، والصحافة، والأوقاف، والمحاكم الشرعية والجمعيات الخيرية فكان له ما أراد فقد أثمر وقته وجهده رحمة الله عليه في حركة التغيير والنهوض بالأمة الإسلامية (حامد، 2002: 7).

قال عنه تلميذه الشيخ رشيد رضا: "إن هذا الرجل أكمل من عرفت من البشر دينا وأدبا ونفسا وعقلا وعلما وعملا وصدقا وإخلاصا، وإن من مناقبه ما ليس له فيه ند ولا ضريب... وإنه لهو الأحوذي العبقري" (عبدالرحمن، 2002: 9).

ثانيًا: منهج الإمام محمد عبده ورؤيته:

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/54 10

لم يكن التجديد الذي نادى به الإمام محمد عبده هدمًا للماضي، ولا قضاء على التراث، بل كان جمعًا بين الأصالة والمعاصرة، أي بين القديم والجديد، وكان توظيفًا للتراث في خدمة العصر، وإخضاع ظواهر العصر الحديثة إلى أحكام الشريعة الغراء، وفكر التجديد عند الإمام يقوم على أن المشكلة ليست في الدين، وإنما في الفهم الخاطئ للدين، وعدم ربط مبادئه بقضايا العصر فيقول: (لقد انصرفت الأذهان عن القرآن والسنة، وانحصرت الأنظار في كتب الفقهاء على ما فيها من الاختلاف في الآراء، واكتسبت تلك الكتب قداسة بسبب التقليد، فشاع بين الناس من "جبرية" مرفوضة و"تواكل" مذموم و"سلبية" بغيضة) (حسنين، 2008: 404).

وتميزت منهاج الإمام محمد عبده في الإصلاح بسمة الوسطية الإسلامية الجامعة، فقال "ظهر الإسلام، لا روحيًا مجردًا، ولا جسديًا جامدًا، بل إنسانيًا وسطًا بين ذلك، آخذًا من كلا القبيلين بنصيب، فتوافر له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوافر لغيره، ولذلك سمي نفسه "دين الفطرة"، وعرف له ذلك خصومه اليوم" (باشا، 2006: 146).

واتضحت رؤية الإمام محمد عبده من خلال العلاقة بين النموذج الإسلامي والنموذج الغربي، وبين الإسلام والعقل، حيث أكد على عدم تعارضهما، ولكنهما في الوقت ذاته لا يمثلان شيئًا واحدًا بالنسبة له، ومن ثم تقوم رؤيته على أساس إيجاد التوفيق بينهما استنادًا لعلاقنية الإسلام ولاحترامه للعقل البشري، والإمام محمد عبده يؤكد على عدم وجود مثل هذا التعارض، ليس فقط مع العقل بع مع العلم، لأن الإسلام شجع العقل وأدان التقليد الأعمى، وهاجم الغيبية والقدرية، وأكد على دور الإرادة الحرة للإنسان، فمبادئ الإسلام تتفق مع مبادئ البحث العلمي (علي، 2012: 39).

ولقد استوعبت ثقافة الإمام محمد عبده الكثير من الاتجاهات المعروفة في الفكر الإسلامي، وكانت لهذه الثقافة أثرها في تشكيل منهجه واتخاذه لأسلوب معين في تناول موضوعات العقدية (أبو زيد، 1995: 144)، وإن المتأمل في تراث محمد عبده الفكري يجد أن منهجه الإصلاحي في عمومه يقوم على ثلاث عناصر رئيسية، وهي: الإصلاح الديني، والإصلاح التعليمي، والإصلاح الأدبي واللغوي (بوعزيري، 2005: 74).

ثالثاً: فكر الأمام محمد عبده السياسي:

إن دراسة ظاهرة السلطة قام بها الفكر السياسي البشري منذ القدم، وكيفية تنظيمها في المجتمع، باعتباره الصلة العضوية المتينة بين نظام الحكم وطبن حياة المجتمعات ونشاطها، فحيث لا تكون دولة منظمة لا يكون هناك مجتمع حي متنور، ولك نفهم معنى الدولة لابد من تفسير نظام سلطتها التي تقوم عليها السلطة، هي القدرة القسرية التي تستأثر بها دون غيرها من المؤسسات الأخرى، وتستند على القانون الوضع، أو شريعة دينية منزلة، تيسر مختلف أنشطة المجتمع، والدولة ليست الشكل السلطوي الوحيد في المجتمعات فهناك سلطة العائلة، وسلطة المدرسة وسلطة الجمعية الدينية، لكن سلطة الدولة أهم هذه السلطات، ولذلك فان أهم ما شغل تفكير الإنسان عند حديثه عن الدولة ونظام الحكم والسلطة فيها، هو نوعية سياستها والقيم الأساسية التي تقوم عليها(صعب، 1966: 92-93) (بدوي، 1970: 103).

أثر فهم الإمام الشيخ محمد عبده المتفتح والمستنير بالعقل في رؤيته لنظام الحكم والسلطة عمومًا، إذ أن النظرة الجامدة المحافظة هي من مسؤولية المجتمع، وليست هناك سلطة معينة لنفسها حق فرضها بصورة محددة على غيرها من الناس (أبن خلدون، 1978: 187).

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 54

لقد كان الشيخ محمد عبده من أنصار تجديد الخلافة العثمانية وإصلاح هياكلها، إذ أن ولم يصل تفكيره إلى درجة الثورة عليها، كما سيقع مع تلميذه عل عبد الرزاق، بعد سنوات عديدة من وفاته أو التخلي عنها تخليًا تامًا كاملًا، وذلك باعتبار الخلافة العثمانية عنده، درع الإسلام الواقي رغم مساوئها، ولها تأثيرها عند الشرقيين عمومًا في مواجهة الزحف الأوربي الاستعماري على ربوع الإسلام، ومع ذلك فقد كان لا يخفى كرهه للأتراك العثمانيين، فقد وضعهم في رسالة لصديقه الإنكليزي "ولفرد طلنت" عام 1882 بقوله: "إن الأتراك ظلمة، وتركوا في بلادنا من أثار السوء ما لا تزال قلوبنا تضرب منه ضربات الجرح، ولسنا نريد أن نعود إلى معرفتهم، وكفى الأتراك مالهم من حقوق الفرمانات فعليهم أن يقفوا عند هذا الحد" (أبن خلدون، 1978: 187).

وردت أفكار الشيخ محمد عبده، عن السلطة في معرض رده على اتهامات فرح أنطوان صاحب مجلة "الجامعة" عام 1897، في شكل رسائل دونها مقالات "رشيد رضا" (معلوف، 1973: 308) وجمعت في كتاطه "الاضنهاد في النصرانية والإسلام" عام 1902، ومحور هذه الاتهامات قائم على تأكيد أنطوان أن استبداد المسلمين بالحكم والسلطة الفردية الزجرية ناتج عن الربط بين السلطتين الدينية والدنيوية على عكس المسيحية، فشرع الإمام محمد عبده في دحض هذه الفكرة المحورية عند أنوان، أن السلطة الدينية ذاتها في الإسلام غير قائمة تمامًا على هذا الربط، فلقد هدم الإسلام أية سلطة على الأرواح والعقائد بعد الله ورسوله، فليس في الإسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه (عمارة، 1993: 286).

وأن الإسلام لم يعرف هيئة دينية ذات سلطة روحية وعقائدية على الإفراد، كما هو شان الكنيسة المسيحية في المجتمع الأوربي الغربي، وكل سلطة إذن وجدت في الإسلام، هي سلطة مدنية سياسية، والإسلام يحدد صراحة أن الأمة هي مصدر السلطة الأساسي، ذلك أن الأمة هي التي تنصب الخليفة أو الإمام الماسك بالسلطة وهي صاحبة الحق في إبقائه أو عزله عن الضرورة، والاقتضاء وعلى هذا الأساس، رأى الشيخ محمد عبده أن الفتوحات الإسلامية قد تمت بحكم السلطة المدنية للخلفاء، وبفرض الملك وتقوية الدولة الإسلامية في المعمورة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) (معلوف، 1973: 287).

والقائم على دراسة تاريخ الإمام محمد عبده يرى اهتمامه الكبير بالسياسة بسبب تأثره البالغ بشيخه ومعلمه جمال الدين الأفغاني، ولقد تغيرت آراء الإمام محمد عبده بمرور الوقت وأيقن أن التغيير الاجتماعي هو السبيل الأمثل لإحداث تغير سياسي وذلك لأن التغيير لن يحدث إلا بالاعتماد على طوائف المجتمع المتعلم المتعاون فالثورة لن تحدث في مجتمع يغرق أفراده في غياهب الجهل وسوء الفهم والتردي الأخلاقي، ومن ثم، نلاحظ اهتمام الإمام بالجهود الإصلاحية اهتماما شديدا لأنها السبيل المناسب لخلق مجتمع مثقف مدرك لخطورة المهمة التي تقع على عاتقه (رضا، 1912: 133).

ومما دفع الإمام محمد عبده إلى الحياة السياسية في الأعوام الأخيرة من حكم الخديوي إسماعيل تأثير أستاذه الشيخ جمال الدين الأفغاني، وتردي أحوال مصر، شارك محمد عبده في السنوات السابقة على خلع الخديوي إسماعيل (1863 - 1879) في قيادة الجمعيات السرية التي أسسها جمال الدين الأفغاني بمصر، وكان قد أسهم مع الأفغاني في تأسيس "الحزب الوطني الحر" الذي انضم إلى العرابيين عام 1881، وشارك محمد عبده في الثورة العرابية على الرغم من رئاسته لجريدة "الواقع المصرية" الرسمية عام 1880 أيام الخديوي توفيق، وقد سجن بعد فشل

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/54

الثورة ونفي إلى بيروت عام 1882، ثم دعاه جمال الدين الأفغاني إلى باريس عام 1883 حيث أدارا معًا جمعية "العروة الوثقى"، وأصدرا جريدة باسمها (باز، 2015: 639).

رابعاً: موقف الإمام محمد عبده من قيم الحكم في الاسلام:

- الشورى: في مسألة الشورى حاول الإمام محمد عبده أن يتصور بوضوح سيادتين مختلفتين هما إرادة الله في الخلق والكون، وإرادة البشر في تسيير شؤونهم ومعاملاتهم الدنيوية، ومنها علاقتهم الاجتماعية والسياسية فيما بينهم، ومن هذه الناحية لم يحدد الإسلام في نظره طريقة مضبوطة لتطبيق مفهوم الشورى الذي أمر بها تاركًا المسلمين حرية الشكل الذي ينصهر فيه المفهوم وفق مصالحهم في كل عصر، وعلى هذا فإن مظاهر الشورى عنده تتمثل في جوانب منها الشورى نقيض الاستبداد والشورى ممارسة الحرية السياسية بين الإفراد، وتقديم النصيحة الضرورية للحاكم، وتتطلب الشورى وجود هيئة سياسية تقوم بها وهي "أهل الحل والعقد" وليس للشورى شكل محدد مسبقًا، من حيث التنفيذ والتطبيق، وعلى هذا الأساس، يمكن استنتاج أن الإمام محمد عبده، يميل إلى الطريقة الديمقراطية الحديثة في التشاور بين أعضاء مجلس موسع لأهل الحل والعقد، حول مسائل الحكم وتنظيم مؤسسات الدولة (أحمد، 1978: 265).

- القانون: اهتم الإمام محمد عبده بالقانون وإصلاح القضاء متأثرًا بفكرة العدالة الاجتماعية في الإسلام، وفصل السلطات عن بعضها لبعث سلطة مدنية، قادرة على الوفاء بالمتطلبات الاجتماعية العديدة، متأثرًا بفكر بعض السياسيين الأوربيين في القرن الثامن عشر الميلادي، ونجده قد تحفظ تجاه الحكم الديمقراطي وأقرب منه إلى نظرية يطلق عليها المستبد العادل، لإيمانه الشديد بأن الحكم له شروطه وإمكانية تحقيقه في المجتمعات الراقية، ولذلك دعا الإمام إلى وجود "مستبد عادل مستنير يفرض على الناس تحقيق الأخلاق الفاضلة، والقيام بواجباتهم اتجاه الدولة والمجتمع في مرحلة أولى، حتى يؤهلهم هذا تدريجيًا لتمثل أعباء الحكم الديمقراطي، الذي يقوم على التعددية واختلاف الأداء، ولعله من هذه الناحية شبيه بالأفغاني، الذي يئس من تحقيق الثورة السياسية السريعة" (المراكشي، 1992: 121).

- مسؤولية الحاكم: أبدى الإمام محمد عبده آراءه في العلاقة بنظام الحكم، تلك التي أفتى فيها بوجوب استبداله عند فساده ولكن بشروط فقال: "الخليفة عند المسلمين ليس بالمعصوم، ثم هو مطاع ما دام على المحجة ونهج الكتاب والسنة، والمسلمون له بالمرصاد، فإذا انحرف عن النهج أقاموه عليه، أو إذا أعوج قوموه بالنصيحة والإعذار إليه، فإذا فارق الكتاب والسنة في عمله: وجب عليهم أن يستبدلوا به غيره، ما لم يكن في استبداله مفسدة تفوق المصلحة فيه، انطلاقًا من قاعدة: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فالأمة أو نائب الأمة هو الذي ينصبه، والأمة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه، وهي التي تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها، فهو حاكم مدني من جميع الوجوده" (عبده، 1960: 100-101).

وما يجب على الحاكم ذكر -أيضًا-، فقال: "إن القتال في القرآن شُرع للدفاع عن الحق وأهله، وحماية الدعوة ونشرها، فعلى من يدّعي، من الملوك والأمراء أنه يحارب للدين، أن يحيي الدعوة الإسلامية، ويُعدّ لها عدتها من العلم والحجة بحسب حال العصر وعلومه، ويقرن ذلك بالاستعداد التام لحمايتها من العدوان"، فقد أوجب على الحكام إقامة شرائع الإيمان في الرعية، حين خاطبهم بالقول: "أيها الأمراء والسلاطن، إن ما تستدلون به على أصل سلطتكم من القرآن، مقيد بكونكم من أهل الإيمان، وهذه الآيات المؤمنين، وما أعلم الله به أهل الإيمان الصادقين، فعليكم بعد

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 54

إقامة شعب الإيمان في أنفسكم، أن تقيموها في أنفس رعيتكم، وتكونوا قدوة لعالمهم وعاملهم، وغنيهم وفقيرهم، لتكونوا أئمة هدى ونور، لا أئمة ضلالة وفجور، وإلا كان عليكم إثمكم، وإثم جميع الأمم التي منيت بكم". فهو يرى أهمية تدخل السلطة الحاكمة لحفظ الملة، وذلك بقوله: "إن المتنعت الذي يبغي بجدله فتنة العوام، ليس له إلا الحديد، أي قوة السلطان، الذي يمنع بعض الناس من فتنة بعض" (رضا، 1947: 15).

كما أنه أفتى بعدم جواز تولية الإمام للظالم، حيث قال: "الإمامة الصحيحة، والأسوة الحسنة، هي فيما تكون عليه الأرواح من الصفات الفاضلة والملكات العلمية التي تملك على صاحبها طرق العمل، فتسوقه إلى خيرها، وتردعه عن شرها، ولا حظّ للظالمين في شيء منها، وإنما هم لأصحاب الرسم، وأهل الخدماع والانخداع بالظاهر؛ ولذلك يصف الفقهاء أعمالهم وأحكامهم بالرسمية، وقد أخذوا من قوله تعالى (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ) (إبراهيم: الأية 40) حكمًا أصوليًا أن الظالم لا يجوز أن يولي منصب الإمام العظمى، واشترطوا لصحة الخلافة فيما اشترطوا: العلم والعدل" (رضا، 1947: 457).

ويعتقد الإمام محمد عبده بضرورة التزام الحاكم بشروط معينة فيمن ينوب عنه، إذ يقول: "على ولي الأمر في مملكته أن لا يكل شيئًا من عمله إلا لأحد رجلين" (عبدالباقي، 2005: 141):

1- إما رجل يتصل به في جنسية سالمة من الضعف والتمزيق، يحملهم توقيرها واحترامها على التغالي في وقايتها من كل شين يدنو منها، ولم توهن روابطها اختلاف المشارب والأديان.

2- وإما رجل يجتمع في دين قامت جامعته مقام الجنسية، بل فاقت منزلته من القلوب منزلتها، كالدين الإسلامي الذي حلّ عند المسلمين - وإن اختلفت شعوبهم - محل كل رابطة نسبية، فإن كلا من الجامعتين (الجنسية على النحو السابق والدينية) مبدآن للحمية على الملك، والمنشآن للغيرة عليها.

- الحرية: يصور الإمام محمد عبده الحرية الإنسانية تصويرًا يتلاءم مع الإستقلال للذات وحرية الإرادة الإنسانية وينطلق من هذا إلى نقطتين رئيسيتين: الأولى رفضه لمذهب الجبرية (صليبا، 1982: 388)، الذي يقيد حرية المسلم ويجعله ريشة في مهب الريح مع الإبقاء على عقيدة القضاء والقدر لتستمد من الله تعالى الهداية وأسباب الحياة مستندين في ذلك إلى قوة تعلو قوتنا وقدرة فوق قدرتنا، والثانية احترام العقل كنعمة من نعم الله، يجب أن نبقى جنبا إلى جنب مع دين الله وأن أي تقليل لهذا الدور هو انتقاص وإلغاء لهذه النعمة (المنياوي وآخرون، 2011: 295).

ويؤكد الإمام محمد عبده أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم يؤيد الحرية في عمله وقوله، فكان العالم الذي لا يكل، والدائب الذي لا يمل والساهر الذي لا ينام والجاد الذي لم يبغ شأوه أحد من الأنام، هل نقل عنه أنه اتكأ يوما على وسادته واكتفى بالتسليم بالقدر في إتمام دعوته قائلا: "الذي كفل لي النصر يكفيني التعب، وضمان الله لإعلاء كلمة دينه تغنيني عن النصب؟ كلا بل لم تكن تزيده الوعود الصادقة إلا نشاطا، ولا تجد العصمة الإلهية من نفسه إلا حزما واحتياطا ولقد فهم الصحابة والتابعون ذلك المعنى من أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله، وكانوا أسوه في السعي ومثلا في الدأب والكسب" (عبده، 1960: 96).

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/54

ومعنى هذا أن الإمام الشيخ يضرب لنا مثالا بخير البشر ألا وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي يؤيد الحرية حيث كان نبينا صلى الله عليه وسلم العالم الذي يكل والدائب الذي لا يمل حيث أنه لم ينم على فراشه منتظرا إتمام دعوته بل اتخذ الأسباب في ذلك وهذا ما دفع الصحابة رضوان الله عليهم إلا الإقتداء بنبينا وفهموا أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم على أكمل وجه (عبدالسلام، 2018: 50).

ويبين الإمام محمد عبده في رد له على فرح أنطون يبين فيه موقع الإسلام والمسيحية من قضية الحرية والاضطهاد، وفي أي الدينين كثر هذا الأخير أو قل، يرى فرح أنطون أن فصل السلطتين الدينية والسياسية هو سبب تقدم الغرب وحصوله على الحريات الفكرية، واحترام الرأي الآخر، والتسامح ضد تعصب الرأي واضطهاد المخالفين، وتم ذلك بجهود الفرير والفرنسيسكان، وفي رأي محمد عبده أن ذلك من صلب الإسلام بالنصر القرآني (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة: الأية 356) (فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) (الكهف: الأية 29) إلا أن عدم معرفة فرح أنطون بالتراث الإسلامي العقلاني جعله يعزو الحرية إلى الغرب، ويجعل الاضطهاد متلازما مع الشرق، وهو ابتسار للغرب والشرق معا، فكم سقط من شهداء الفكر الحر في الغرب، منذ محاكم التفتيش وحرق جيوردانو برونو، والمذابح المتبادلة بين البروتستانت والكاثوليك حتى الأن (حنفي، 2009: 141).

- الديمقراطية: لقد تبنى الإمام محمد عبده مرحلتين مختلفتين مفهومين يكادا أن يكونا متناقضين للديمقراطية: الأولى دعا فيها بحماس إلى الديمقراطية الكاملة وإلى الحكم الدستوري والمجالس النيابية المنتخبة شعبيًا، والثانية قنع فيها بالدعوة إلى تحول تدريجي للمجتمع نحو الديمقراطية، وارتبطت المرحلة الأولى بتأثير الأستاذ جمال الدين أسد أبادي المعروف بالأفغاني وتأثير نجاحات الثورة العرابية في مراحلها الأولى، أما رؤيته خلال المرحلة الثانية، فيمكننا القول أنها كانت أصلاً تمثل رؤيته الذاتية قبل لقائه بالأفغاني، وظهرت في الواجهة نتيجة هزيمة ثورة عرابي وفشل عبده والأفغاني في المنمفى في بعث أفكارهما الثورية إلى حيز الوجود وعودة الشيخ إلى مصر من المنفى مهزومًا وبإذن من سلطة الإحتلال البريطاني (عمارة، 1972: 79- 80). ونلحظ في موقف محمد عبده الداعم لدور الطبقة الوسطى كراهية نحو الطبقة العليا ورفضًا لقيادتها للتحول الديمقراطي، ويرجع هذا إلى سببين: الأول هو كراهية الإمام لمحمد علي باشا وأسرته بسبب التجربة الدرامية لأسرة محمد عبده مع محمد علي وأسرته الذين نزعوا ملكية أسرة عبده وضموها إليهم (عمارة، 1972: 47، 49)، أما السبب الثاني فكان أن غالبية أعضاء الطبقة العليا في مصر في ذلك الوقت كانوا من غير المصريين أو من أصول غير مصرية (عبدالناصر، 2001: 16-17).

- العدالة: أنكر الإمام محمد عبده على المسلمين حالهم الذين شاع عنهم إهمال شأن المرأة، فيحكي لنا الشيخ محمد رشيد رضا فيقول: "ذكر الأستاذ الإمام في الدرس أن أحد السائحين من الإفرنج زاره في الأزهر، وبينما هما ماران في المسجد رأى الإفرنجي بنتًا مارة فيه، فبهت، وقال: ما هذا؟ أنثى تدخل الجامع، فقال له الإمام: ما وجه الغرابة في ذلك؟ قال: إننا نعتقد أن الإسلام قرر أن النساء ليس لهن أرواح، وليس عليهم عبادة، فبين له غلطه، وفسر له بعض الآيات فيهن، قال: فانظروا كيف صرنا حجة على ديننا وإلى جهل هؤلاء الناس بالإسلام حتى مثل هذا الرجل الذي هو رئيس لجمعية كبيرة؟ فما بالكم بعامتهم" (رضا، 1947: 303). ويتبين لنا هنا أن الإمام محمد عبده قد نظر إلى قضية المرأة وفهمها فهمًا مستنيرًا دون تعصب عنصري، من خلال

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 54

تأكيده على مساواة الرجل بالمرأة، وهذه المساواة التي لا تخالف أصول الشريعة الإسلامية، وجعلها في مكانة سامية مثلها مثل الرجل، وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل عل حرير المرأة كي تنال حقها الذي أكد عليه الإسلام مثلها مثل الرجل (المنياوي وآخرون، 2011: 337).

وقد أكد الإمام محمد عبده أن مكانة المرأة تم رفعها في الإسلام وقد وأعطى لها حقها قبل الأمم الأوربية التي تصيح بأنها أكبر مدافع عن حرية المرأة بنحو أكثر من ثلاثة عشر قرنا ونصف ويتجلى هذا في قوله: "هذه الدرجة التي رفع الإسلام النساء إليها، لم يرفعها إليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام وبعده وهذه الأمم الأوربية كان من أثار تقدمها في الحضارة والمدنية أن بالغة في تكريم النساء واحترامهن وعنيت بتربيتهن وتعليمهن العلوم والفنون، لا تزال دون هذه الدرجة التي رفع الإسلام النساء إليها، ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حقها في التصرف في مالها بدون إذن زوجها، وغير ذلك من الحقوق التي منحتها إياها الشريعة الإسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف" (عبدالسلام، 2018: 74).

- المساواه: ونجد الإمام محمد عبده أيضًا رفع لواء محاربة التفرقة الاجتماعية، وطالب بتحقيق المساواة بين طبقات المجتمع، ومحاربة الفقر، داعيًا إلى التكافل الاجتماعي، وإصلاح المجتمع، فيؤكد على "أن الإنسان يكتسب المال من الناس بحذقه وعمله معهم، فهو لم يكن غنيًا إلا بهم ومنهم، فإذا عجز بعضهم عن الكسب لعلة في بدنه أو لآفة في نفسه وفكره، فيجب على الآخرين الأخذ بيده، حفاظًا للجموع الذي تترابط مصالح بعضه بمصالح البعض الآخر". وأكد الإمام محمد عبده دور الإسلام في تحقيق التكافل الاجتماعي حيث "فرض الإسلام للفقراء في أموال الأغناء حقًا معلومًا يفيض به الغني على الفقير سدًا لحاجة المعدوم، بل وكان حريصًا كل الحرص حثه على الإنفاق وكثيرًا ما كان يجعله عنوان الإيمان ودليل الاهتداء" لذلك كان نهج إلى إصلاح المجتمع على أساس ديني (سعيد، 2012: 769).

- الاستقلال والوحدة: انطلق تفكير الإمام محمد عبده كما انطلق أستاذه جمال الدين الأفغاني من قبل، من فكرة الوحدة السياسية للأمة بمعناها الإسلامي وفكرة الأمة بمعناها الحديث، واضعًا نصب عينيه قضية الانحطاط الداخلي والحاجة إلى البعث الذاتي للأمة والشعوب الإسلامية، فقد أكد في كتاباته: أن الأمة الإسلامية في انحطاط ويجب إصلاحها من الداخل وتبني المؤسسات الأوروبية بحد ذاته لن يحقق هذا الإصلاح، فما نفتقر إليه اليوم إنما هو إعادة تفسير الشريعة لتتمكن من اقتباس ما كان صالحًا وإن من ضروريات إنهاض الأمة الإسلامية، هو بعث الخلافة الصحيحة، وعلى الخليفة أن يكون المجتهد الأكبر، وعليه أن يكسب احترام الأمة لا أن يحكمها، فالأمة هي وحدة معنوية لا يؤثر فيها الانقسام إلى دولة قومية، وكان للمسألة القومية مركزًا مهمًا في فكر الإمام محمد عبده، فالوحدة ضرورية في الحياة السياسية، وأقوى نوع من أنواع الوحدة إنما هو وحدة الذين ينتمون إلى البلد الواحد لذلك كان لمصر كيان مستقل، لكنها كباقي أقطار الأمة الإسلامية في حالة انحطاط (رضا،1947: 5).

- الاعتدال والوسطية: يرى الإمام محمد عبده أن الإعتدال مرادف للوسطية، وفي اللغة كذلك على المشهور، وبين ذلك فيما يلي: الاعتدال عند الإمام محمد عبده: ورد لفظ العدل في تفسير الإمام في أكثر من موضع، وأكتفى بذكر موضعين منها" (رضا، 1947: 101):

1- الموضع الأول: قوله تعالى: (وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ) (البقرة: الأية 282)، يقول الإمام: "أي ليكن فيكم كاتب للديون عادل في كتابته، يساوي بين المتعلمين لا يميل إلى أحدهما فيجعل له من الحق ما ليس له، ولا يميل عن الآخر فيبخسه حقه شيئًا.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/54

2- الموضع الثاني: قوله تعالى: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) (النساء: الأية3)، يقول الإمام: "أي بالجور والظلم".

الوسطية عند الإمام محمد عبده: ورد لفظ الوسط في تفسير الإمام في موضعين، كما يلي: (رضا، 1947: 101):

1- الموضع الأول: قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) (البقرة: الأية 143)، يقول الإمام: هو تصريح بما فهم من قوله: (قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة: الأية 142)، أي أن الجهات كلها لله تعالى، لا فضل لجهة منها بذاتها من جهة، وإن لله أن يخصص منهما ما شاء فيجعله لمن يشاء، وهو الذي: (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)، وهو صراط الاعتدال في الأفكار والأخلاق والأعمال". ثم يقول الإمام: "أي على هذا النحو من الهداية جعلناكم أمة وسطًا، قالوا: إن الوسط هو العدل والخيار؛ وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القوية، فهو شر ومذم، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر، أي المتوسط بينهما".

2- الموضوع الثاني: قوله تعالى: (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا) (العاديات: الأية 5)، قال الإمام: أي فتوسطن ودخلن في وسط جمع من الأعداء ففرقنه وشتتنه".

خامساً: فلسفة التجديد الإسلامي في فكر الإمام محمد عبده

كان الإمام محمد عبده أحد أبرز دعاة التجديد والإصلاح، وأحد أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، ورسالته في الحياة كانت - كما قال أحد الكتاب الذين كتبوا عنه - تتلخص في أمرين: "الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة" (أبو سالم، 2013: 535-536).

وتركزت دعوة الإمام محمد عبده في التجديد على تطهير الإسلام من البدع والضالات والعودة به إلى نقائه الأول، وإعادة النظر في عرض المذاهب الإسلامية على ضوء الفكر الحديث أو التوفيق بين الدين والعلم، وعن الدفاع عن الإسلام ضد التأثيرات الغربية ضد حملات المبشرين المسيحيين خاصة، وإصلاح التعليم العالي الإسلامي، حيث تمكن من أن يحقق بعض أفكاره في إصلاح التعليم في الأزهر الشريف (الندوي، 1968: 82).

فإن الإمام محمد عبده لم ينادي بالتجديد من أجل هدم الماضي، ولا قضاء على التراث، بل كان جمعًا بين الأصالة والمعاصرة، أي بين القديم والجديد، وكان توظيفًا للتراث في خدمة العصر، وإخضاع ظواهر العصر الحديثة إلى أحكام الشريعة الغراء (حسنين، 2008: 404).

وفكر التجديد عند الإمام محمد عبده يقوم على أن المشكلة ليست في الدين، وإنما على الفهم الخاطئ للدين، وعدم ربط مبادئه وقيمه بقضايا العصر فيقول:" لقد انصرفت الأذهان عن القرآن والسنة، وانحصرت الأنظار في كتب الفقهاء على ما فيها من الاختلاق في الآراء، واكتسبت تلك الكتب قداسة بسبب التقليد، فشاع بين الناس من "جبرية" مرفوضة و"تواكل" مذموم و"سلبية" بغيضة" (الفنجري، 2006: 80-81).

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 54

وبهذا صاغ الأستاذ الإمام محمد عبده للأمة - معاصرة إسلامية متميزة، هي الامتداد المتطور لأصالتها الإسلامية المتميزة، قال أحمد أمين: والإمام محمد دعا إلى نوع من التجديد، والناس - في الأعم الأغلب - عبيد ما ألفوا، ولهذا رأى الإمام: أن اجتهاده يعتمد على الدين والعقل معًا، نستطيع أن نوجه المسائل الجديدة، ونقتبس منها ما يفيدنا (حسنين، 2008: 405).

وبهذا فالتجديد عند الإمام لم يكن ابتداعيًا عن الأصول، أو رؤى فكرية تصادم أصول الشريعة وأدلتها، ولكنه كان نوعًا من الاجتهاد الدقيق في جملة من المستجدات الفقهية التي عاصرت حياة الإمام محمد عبده، وكان اجتهاده فيها ابتكارًا فقهيًا سبق به أقرانه.

يُعد الإمام محمد عبده من أهم رواد التجديد في العصر الحديث، كما اعتبره أصدقاؤه ومريدوه رائدًا لاتجاه جديد، لذلك وصف بأنه إمام كبير، ومدرسته مدرسة رائدة، ووصف بأنه أستاذ مدرسة الإحياء والتجديد، ويستحق الإمام محمد عبده أن تبرز معالم منهجه في التجديد الذي حاول به تجديد الدين الإسلامي لتتجدد به دنيا المسلمين، وتنتطلق أسس التجديد عند الإمام محمد عبده من منهجين هما:

أولاً: المنهج العقلي: جمع الإمام بين الحكمة والشريعة، وبين العقل والنقل، فكان يقرأ النقل بالعقل، وبمعنى آخر قام الإمام بعملية توازن بين الرأي والأثر، وبين الأصالة والمعاصرة، وبالتالي فإن العقل بالنسبة للإمام محمد عبده ضروري للدين، فهو المرشد إليه، والدين ضروري للعقل لأنه يكمله ويقومه، وهذه الموازنة تختلف بين النقل والعقل يقررها الإمام محمد عبده في كتابه المشهور "رسالة التوحيد" فيقول رحمه الله: وهكذا (تآخى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس، على لسان نبي مرسل، بتصريح لا يقبل التأويل، وتقرر بين المسلمين كافة - إلا من لا ثقة بعقله ولا بدينه - أن من قضايا الدين ما لا يمكن للعقل الاعتقاد به إلا من طريق النقل، كالعلم بوجود الله، وبقدرته على إرسال الرسل وعلمه بما يوحي به إليهم" (عبده، 1994: 23).

ومن هنا يمكننا أن نقول بأن مظاهر التجديد في المنهج العقلي عند الإمام محمد عبده تتجلى في الآتي:

(1) التحرير من المذهبية في علم الكلام: فلم يتقيد بمدرسة بعينها من مدارس علم الكلام مع أن إنتماء العالم إلى فرقة كلامية أو مذهب معين - لا يتعارض مع التجديد، وبهذه الحرية - المنضبطة بمنطق العقل والنقل - استطاع الإمام محمد عبده أن ينظر إلى المذاهب الكلامية نظرة فوقية، أو نظرة من خارجها جعلته يتمكن من نقدها نقدًا بناءًا، فربما يبدأ كلامه فيلسوفًا ثم ينهي كلامه أشعريًا أو معتزليًا، أو العكس وكل ذلك في المسألة الواحدة أو القضية الواحدة.

(2) التجديد في المناظرات: اعتمد الإمام محمد عبده في مناظراته على قواعد علم البحث والمنظاظرة في التراث العقلي للإسلام، هذا بالإضافة إلى إطلاعه على علوم التارخ، والاجتماع والفلسفات القديمة والحديثة، ومما يوضح ذلك مناظراته في الرد على "هانوتو" الفرنسي وعلى "فرح أنطون".

(3) التجديد في التحليل والرهبنة: وهو كما يراه الإمام صوابًا وبما يلامس فلسفات عصره ومعارفها، وهذا الطريق قد مكنّ الإمام من تصوير "عالمية الإسلام" تصويرًا حيًا، وكيف أن شريعة الإسلام مؤهلة لمواكبة متغيرات الأحداث وتطور المستجدات.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/54 18

(4) شدة الاعتداد لمرجعية العقل: كان الإمام محمد عبده يعرف حق المعرفة أن للعقل حدوده التي لا يستطيع أن يتخطاها في أي حال من الأحوال، وفي عصره "فرح أنطون" المسيحية بقوله: "إن المسيحية أكثر تسامحًا مع العلم"، فرد عليه الإمام بقوله: "إن الإسلام قد قاضاك إلى العقل، ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن لسلطته، ولقد بلغ الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة: إن الذي يستقصي جهده في الوصول إلى الحق، ثم لم يصل إليه، ومات طالبًا، غير واقف عن الظن فهو ناج" (ابن تيمية، 2005: 20).

ثانيًا: المنهج التربوي: يعتبر مشروع الإصلاح التربوي من أهم الانجازات التي سعى إليها الإمام محمد عبده لتحقيقها في سبيل النهوض بالأمة وتحقيق ازدهارها، فقد كان هدفه يتمثل في التجديد الذي يخرج المجتمع الإسلامي من معضلة الجمود والتقليد. وقد كانت بداية الإصلاح لدى الإمام انطلاقًا من الأزهر فالدعوة الإصلاحية التي سعى إليها تقوم على التغيير والتجديد وتمثلت في تدريس أهم العلوم الحديثة وعلوم السلف. كما خصص مبلغ مالي لصالح الأزهر والقائمين عليه وكذا خصص راتبًا للمعلمين (فلعجي، 1994: 174).

وقد سعى الإمام محمد عبده إلى استعادة مكانة الأزهر لأنه يعتقد بأنه هو الكفيل بنشر الدعوة الإصلاحية للأمة الإسلامية وكذا تكوين العقل الإسلامي، فالأزهر عنده ليس مجرد مكان للتدريس أو العبادة بل هو ذا أهمية كبيرة في سبيل إيقاظ الأمة (أمين، 1996: 190).

وهنا يظهر جليا الجانب الإصلاحي الذي برز فيه الأستاذ الإمام من خلال الاهتمام بجميع الأمور المتعلقة بالأزهر من الناحية المادية والمعنوية، إذ اعتبر أن النهضة الحقيقية لا تكون إلا بتربية الأمة وتعليمها فهما وسيلتان في سبيل تحقيق الإصلاح (بهي، 1963: 251)، لذلك توجه الإمام إلى الاهتمام به، من منطلق أنه ساهم في ارتقاء الأمة وكذا انتشار الوعي فيها، ولأنه يدرك مدى الدور الذي يلعبه في التربية والتعليم.

وكما نجد أن الإمام محمد عبده ما ترك مجالاً من مجالات التربية إلا طرقه، وقد نهضت "فلسفة التربية" عنده على ركنين (الشيخ، 2018: 895):

الركن الأول: ما زال يلحّ على "أولوية التربية" حتى جعل منها المعيار الذي يعرف به حقيقي الإنسان من شبيهه، إذ ليس بإنسان من لم يتربّ، إن هو إلا شبيه بالإنسان، وما هو بإنسان على الحقيقة: "إن الإنسان لا يكون إنسانًا حقيقيًا إلا بالتربية".

الركن الثاني: أن الأصل الذي ينبغي أن تؤصل عليه التربية، بالأولى والأحرى والأجدر، هو الدين، ذلك أن: "أنفس المصريين أشربت الانقياد إلى الدين حتى صار طبعًا فيها"، وعليه، فإن: "كلّ من طلب إصلاحها من غير طريق الدين (من طريق الوطنية مثلاً أو النزعة النفعية أو غيرها)، فقد بذر بذرًا غير صالح للتربة التي أودعه فيها، فلا ينبت، ويضيع تعبه، ويخفق سعيه".

ويبرز إصلاحات التربية عند الإمام محمد عبده والتي تمثلت في الجمعيات الخيرية الإسلامية، والتي كان الغرض الأول من تأسيسها هي تربية أولاد الفقراء واليتامى تربية يحافظون بها على عقائدهم وآداب دينهم ويستعينون بها لتحصيل أرزاقهم، ولم تنشأ الجمعية لمقصد أعلى من هذا في مدارسها كأخذ الشهادات والاستعداد للوظائف، بل إن أهم هدف هدفت إليه الجمعية هو أن تنزع من النفوس الاعتقاد السائد بأن فائدة التربية محصورة فقط في العمل في الحكمة، وهذا الفكر هو الذي كان مستوليًا على الأمة آنذاك (بن جلول، 2017: 27).

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 54

فالتربية حسب اعتقاد الإمام محمد عبده هي العصا السحرية - كما أشرنا سابقًا - التي من خلالها يمكن أن يكتمل كل ناقص وكذا من شأنها أن تغير الحياة وتجعل السلبي إيجابي(عمارة، 1988: 213)، فالإمام محمد عبده ومن خلال الدعوة لإصلاح الجانب التربوي رأى بالتربية الجانب الذي ينير الفكر ويساعد الأمة على اكتساب كل ما هو جديد في فهم الحياة وتفاصيلها.

التوصيات: توصي الدراسة بما يلي:

- جعل أفكار الأمام محمد عبده مشروعاً تأسيسي في مراكز الفكر والهيئات البحثية المعنية بالجوانب الدينية والسياسية لتصدي لهيمنة قطاعات المتطرفين واستعادة مكانتها الدينية والسياسية إلى محاضنها الرئيسية والوعي بالإطار السياسي المحلي والإقليمي والدولي وإتاحة الفرصة للمجتمع الأسلامي لنهوض بالفكر السياسي من جديد.
- التأكيد على افكار الأمام محمد عبده السياسية من جانبها الديني، فالإسلام كدين لم يضع افتراضات سياسية جامدة،تنطلق من أيدولوجية سياسية، وإنما فكر هو من يصلح أن يكون كأيديولوجية أو على الأقل أساسا لبرنامج سياسي.
- جعل رؤية وفلسفة الأمام محمد عبده في التجديد السياسي مشروعاً فكرياً يمكن أن يتم تطبيقه من قبل نظام الحكم لتحرير العقل الاسلامي العربي من الجمود الفكري الذي أصابه لعدة قرون، وإيقاظ وعي الأمة الإسلامية نحو التحرر.
- الدعوة نحو إحياء الاجتهاد الديني لمواكبة التطورات السريعة خاصة وأن فشل التجارب الاشتراكية والقومية في المنطقة العربية ساهم في اتخاذ الاسلام الحل ليقظة العقل المسلم لمواجهة التحديات الفكرية السياسية، والبديل ليقاوم دعاة التقليد والجمود الفكري من ناحية ودعاة التغريب الغربي من ناحية أخرى.

قائمة المراجع

أحمد، عبد العاطي. (1978). الفكر السياسي للإمام محمد عبده. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الأعرجي، مؤيد. (2011). الإمام محمد عبده دراسة في آرائه الدينية والسياسية، مجلة آداب الكوفة، 1(9)، 399-427.

أمين، عثمان.(1996). رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده، القاهرة: الهيئة العامة للشؤن المطابع الأميرية.

باز، هدى عبدالغني. (2015). مقالات محمد عبده السياسية في الوقائع المصرية: دراسة في ضوء معايير النصية المتعلقة بالسياق الخارجي، أبحاث مؤتمر التراث العربي - قراءة جديدة، عقد في كلية الآداب، قسم اللغة العربية وأدابها، جامعة القاهرة.

باشا، أحمد فؤاد. (2006). حول رؤية الإمام محمد عبده لعلاقة الدين بالعلم، جمعية المسلم المعاصر، 30(119+ 120)، 140-175.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/54

بد جلول، عائشة. (2017). الفكر الإصلاحي عند محمد عبده. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، الجزائر.

بدوي، عبدالرحمن. (2005). الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بدوي، محمد طه. (1970). علم السياسة. القاهرة: المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر.

برغش، سماء أشرف. (2018). مشروعات التجديد في الفكر السياسي الإسلامي الحديث والمعاصر: دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الكويت، الكويت، الكويت.

البشري، طارق. (2016). نحو تجديد مجالات في الفكر السياسي الإسلامي. مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1(33)، 265-302.

بهي، محمد. (1963). الأزهر تاريخه وتطوره. القاهرة: مطابع الشعب.

بوعزيزي، محمد العربي. (2005). الفكر الإسلامي ومواكبة مستجدات العصر بين محمد عبده ومحمد إقبال. ندوة الفكر الديني ومواكبة العصر - الواقع والآفاق، تونس: مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان.

التويجري، عبدالعزيز عثمان. (2015). نحو تجديد الفكر الإسلامي. مجلة الأسلام اليوم، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - ايسيسكو-. 30(31)، 13-34.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس. (2005). مجموع الفتاوى لابن تيميه. الرياض: الكنوز الأدبية.

الجابري، محمد عابد. (1986). بنية العقل العربي. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

جبرون، امحمد. (2015). نشأة الفكر السياسي الإسلامي وتطوره: دراسة في المثلث الاشكالي: المدنية والاصالة والعقلانية السياسية. الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية.

حامد، حامد فرحنا. (2002). الشيخ محمد عبده وآراؤه الفقهية: دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، الخرطوم، السودان.

حسنين، حسنين السعيد. (2008). منهج التجديد في فكر الإمام محمد عبده (1266 - 1323هـ = 1849م - 1905م). مجلة كلية دار العلوم، (46)، 393-441.

حنفي، حسن. (2009). العقل والحرية بين فرح أنطون ومحمد عبده سجال الجامعة والمنار. مجلة المستقبل العربي،31(359)،141-180.

ابن خلدون، عبدالرحمن. (1978). المقدمة. بيروت: دار العلم للملايين.

رضا، محمد رشيد. (1912). الشيخ محمد عبده والجامعة الإسلامية. مجلة المنار، ج2،. 15، 125-170.

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 54

رضا، محمد رشيد. (2012). سيرة الإمام محمد عبده وتراثه الفكري. مجلة إبداع، (21)،240-270.

رضا، محمد رشيد. (1947). تفسير المنار، ط2، ج1، القاهرة: دار المنار.

الريدي، غادة. (2012). سيرة الإمام محمد عبده وتراثه الفكري. مجلة إبداع، 29(1)، 249- 294.

أبو زيد، منى أحمد. (1995). منهج محمد عبده في دراسة العقيدة. مجلة المسلم المعاصر، 19(75+ 76)، 140-160.

الزيدي، أنس عصام. (2018). محمد عبده وآراؤه الفكرية. مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، (1)، 134-149.

أبو سالم، أحمد فريد. (2013). الصورة البيانية في ديوان الإمام محمد عبده. مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، 2(32)، 523-607.

سعيد، عمر علي.(2012). الإصلاح الديني والتربوي والتعليمي والاجتماعي عند محمد عبده، مجلة البحث العلمي في الآداب، 4(13)، 769-800.

الشيخ، محمد. (2018). بدايات الفكر التربوي العربي: محمد عبده نموذجًا. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

صعب، حسن. (1966). علم السياسة. بيروت: دار العلم للملايين.

صليبا، جميل.(1982). المعجم الفلسفي، ج 1، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

عبدالباقي، إبراهيم. (2005). الفقه السياسي عند الإمام محمد عبده، إسلامية المعرفة: مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، 10(40)، 125-182.

عبدالرحمن، محمد إبراهيم. (2002). مدرسة المنار التفسيرية (ملامحها - آثارها - نقدها). ندوة دولية حول مدرسة المنار ودورها في الإصلاح الإسلامي الحديث 8 - 9 أكتوبر. القاهرة: فندق فلامنكو.

عبدالسلام، مخالفية. (2018). الحرية من منظور الفكر العربي المعاصر (التيار الإصلاحي أنموذجًا، محمد عبده أنموذجًا)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، الجزائر.

عبدالناصر، وليد محمود. (2001). الديمقراطية من منظور ثلاثة مفكرين إسلاميين محمد عبده، سيد قطب، حسن حنفي، مجلة الديمقراطية، 1(4)، 10-35.

عبده، محمد. (1960). الإسلام دين العلم والمدنية: عرض وتحقيق طاهر الطناحي، القاهرة: دار الهلال.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/54 22

عبده، محمد. (1994). رسالة التوحيد. تحقيق: الدكتور محمد عمارة. القاهرة: دار الشروق.

علي، أرفيس. (2012). إشكالية النهضة بين مالك بن نبي وسيد قطب (دراسة تحليلية مقارنة). رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الحاد لخضر،التنة، الجزائر.

عمارة، محمد. (2005). المنهج الإصلاحي للإمام محمد عبده. مكتبة الأسكندرية: الأسكندرية.

عمارة، محمد. (1972). الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده. ج3. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر.

عمارة، محمد. (1988). الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين. ط2.القاهرة: دار الشروق.

عمارة، محمد. (1993). الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده. القاهرة: دار الشروق.

عياش، صلاح الدين. (2017). تجديد الفكر السياسي الإسلامي المعاصر (**2/1**) قراءة في المشروع الإصلاحي لطارق البشري. ج1. الرباط: العمق المغربي. بحث الكتروني تم الاسترجاع بتاريخ 2020/2/3 في10:57مساءاً. متاح عبر الرابط: https://www.maghress.com/al3omk/257627

الفراهيدي، ابو عبدالرحمن الخليل. (د.ن). كتاب العين. ج3. تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي. [د.م]: دار ومكتبة الهلال.

فلعجي، قادري. (1994). ثلاثة من أعلام الحرية (جمال الدين الأفغاني، محمد عبده). ترجمة: سعد زغلول. بيروت: دار الكتاب العربي للتأليف والترجمة والنشر.

الفنجري، محمد شوقي. (2006). فتاوى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده: حول فوائد صناديق التوفير، والتأمين على الحياة وعلاج مشكلات الفكر والتخلف، والانفاق في سبيل الله. القاهرة: جامعة الأزهر.

القصاص، خولة نمر. (2019). فلسفة التجديد في فكر الإمام محمد عبده. مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات. 9(1)،251-272.

قلاب، السماني. (2000). الشيخ محمد عبده وجهوده في العقيدة وتجديد الفكر الإسلامي. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة أم درمان الإسلامية. الخرطوم. السودان.

كهوس، رشيد. (2015). نشأة الفكر الإسلامي الحديث. مجلة الداعي. دار العلوم ديوبند. 39(8). بحث منشور إلكترونياً تم الاسترجاع بتاريخ 2019/11/7 في 8:57مساءاً. عبر الرابط: http://www.darululoom-deoband.com/arabic/magazine/tmp/1433246179fix3sub1file.htm

مجاهد، حورية توفيق. (2016). الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده. ط7. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

المراكشي، محمد صلاح. (1992). الأيدلوجية والحداثة عند رواد الفكر السلفي. تونس: دار المعارف.

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 54

مصباح، محمد. (2015). الشيخ الأمام محمد عبدة وأثرة في الفكر السياسي المعاصر، مجلة القدس الاسلامية الدولية، 3(2)، 227-238.

معلوف، لويس. (1973). المنجد في اللغة والأعلام، بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

ابن منظور، محمد بن مكرم.(1994). لسان العرب، ج3، بيروت: دار صادر.

المنياوي، ثناء وآخرون. (2011). الفكر السياسي: مفاهيم وشخصيات، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

المؤمن، علي. (2016). الإسلام والتجديد رؤى في الفكر الإسلامي المعاصر، القاهرة: دار روافد للطباعة والنشر والتوزيع.

الندوي، أبو الحسن. (1968). الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ط2، لبنان: دار الندوة للتوزيع.

هلالي، سعد الدين مسعد. (2011). الإعتدال والوسطية عند الإمام محمد عبده، مجلة دار الإفتاء المصرية، (9)، 20-74.

الوين، عبدالله محمد. (2014). آراء الشيخ الإمام محمد عبده الفقهية في العبادات والمعاملات المالية والحدود من خلال تفسيره: دراسة فقهية مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، الخرطوم، السودان.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/54